من الخارج البضائع فتقتصد بذلك كثيرًا ويعود عليها هذا العمل بالارباح الغزيرة وقد اصبح الامر الان غاية في السهولة لاننا قرأنا في البشير آخرًا فقرة مآلها: ان الشركة المساجري ماريتيم عزمت على تسفير بواخر بين بيروت وحيفا ويافا مرتين في الشهر فبهذه الواسطة يتمكن تجارنا من الاتفاق مع وكيل الشركة المذكورة في بيروت حتى تعرّج بواخر هذه الادارة بذهابها الى حيفا على صيدا وعندئذٍ يتمكنون من طلب البضائع من اوربّة وعلم يقينًا بان مقطوعية مدينتنا من الاقمشة عظيمة خلافًا لما يشيعهُ البعض ممَّن يرغبون تأخير تجارة هذه المدينة . اخيرًا نرجو من الحكومة السنية تمهيد السبيل بمساعدة الاهالي على مزاولة التجارة اذ بذلك تكون قامت بتتميم نيات جلالة السلطان الاعظم صاحب البلاد ايد الله سرير ملكه مدى الدوران

ايضاح مسألة في العماد

للاب انطون صالحاني اليسوعي

وردتنا رسالة من احد الكهنة من طائفة الروم الارثوذكس يستفهمُ فيها عن العماد الممنوح من الوثنيين والبروتستانت . قال: «سمعتُ من احد كهنة الكاثوليك ان تكميل سرّ المعموديّة اذا أُعطي عند مسيس الحاجة لايٍّ كان ان يتممهُ حتى للوثنيين . اي لو فرضنا انهُ وُجد طفلٌ في حالة النزاع الاخير وليس موجودًا لديهِ احد من المسيحيين بل وُجد واحد من الوثنيين فيقدر ان يتمم هذا السرّ المقدَّس على المذهب المسيحي . وحسب زعم هذا الاب يكون مقبولًا في كنيستكم . ثم تطرَّف ايضًا الى معموديّة البروتستانت وقال: بما انها غير صحيحة لذلك كنيستكم تعيدها . فنسألكم هل تقبل كنيستكم هذا التعليم . فأظنّ انهُ مغاير لمبدأ كنيستكم . فان كان مقبولًا فعلى ايّ شيء تستندون من الكتاب المقدَّس او من مؤلفات الآباء . فلا اظنّ احدًا من الاباء او من اللاهوتيين الشرقيين ام الغربيين ذكر ذلك . فعلى الغالب هو تعليم خصوصي لهذا الاب بقبولهِ معمودية الرجل الوثني الخارج عن الايمان بالمسيح ويرفضهِ معمودية البروتستاني الذي يؤمن بالمسيح . وبما ان مجلّتكم الغرّاء هي لسان حال الكاثوليك فتقدرون ان تبيّنوا من لهُ الحق أن يعتمد عند الضرورة . . .»

قبل ان نأخذ في ايضاح المسألة التي عُرضت علينا يحسن ويفيد ان نبيّن اولًا ما هو سرّ المعموديّة . فاذا بيّنّا ذلك أمكننا ان نحكم في عماد البروتستانت أهو صحيح ام باطل . ثم ننتقل الى خادم سرّ العماد ذاكرين من لهُ الحق ان يعتمد مبيّنين ان هذا الحق مختص بالرعاة ثم بالشمامسة بتفويض من الرعاة . ثم في وقت الضرورة بالعلمانيين . وان خطية او هرطقة المعمّد لا تمنع ان يكون العماد الذي يمنحهُ صحيحًا . ومن ثم ان العماد المعطى من الهراطقة والوثنيين اللهم اذا مُنح كما يجب يكون صحيحًا

فنقول ان المعموديّة هي سرٌ مقدّس رسمهُ السيد المسيح ليمحو الخطيّة الاصليّة ويمنحنا حياة النعمة المبرّرة ويجعلنا ابناء الله بالشريعة ومستحقين للارث السماوي . وقد تكلّم المسيح عن العماد كأنّهُ ولادة جديدة لا جسديّة بل روحيّة لانّ بهِ ينتقل الانسان من موت الخطية الى حياة النعمة . قال لاسمعان الفريسي : « ان لم يولد احد ثانيةً فلا يقدر ان يعاين ملكوت الله » (يوحنا ٣ : ٣)

وقد عيّن المسيح مادة هذا السرّ اي الماء والصورة اي الكلام الذي يلفظهُ من يعتمد فتُخصّص بهِ المادة لتكون سرًّا مقدّسًا . فاذا ما استعملت المادة مع الصورة كانت علامة حسّية يمنح الله بسببها النعمة المحيية . وتدلّ هذه العلامة الحسية على الفعل الخفيّ الذي يتمّ في النفس (١ . ففي العماد يُغسل الجسد بالماء ويلفظ المعمّد

---

(١) بما ان غسل الجسد في العماد لا يُراد منهُ تنظيف الجسم بل الدلالة الحسّية على ما يتمّ في النفس فسواء غُسل الجسد بالتنطيس او بالصب تكون الدلالة كافية لتعني ما يتمّ في نفس المعمّد من التطهير . وعليهِ فالعماد يصحّ سواء أعطي بالتنطيس او بالصبّ . ولدينا برهان آخر على صحة العماد بالصب وهو ان الذين ينكرونهُ يسلّمون بهِ في بعض الظروف ويأمرون بمنحهِ في وقت الضرورة كما سلّمت بهِ ومنحتهُ الكنيسة في الصور الاولى . قال الشماس جراسيموس مرقس (وهو سيادة المطران الحالي على الروم الارثوذكس ببيروت) في كتابهِ « الانوار في الاسرار » (الصفحة ٢٧ , ٢٨ الطبعة الثانية ١٨٨٨) ما نصّهُ بالحرف :

« اما نضح الماء او سكبهُ على المتعمدين الذي تستعملهُ الآن الكنيسة الغربيّة تحت اسم المعمودية فنقول فيهِ ما نقول في غيرهِ من امثالهِ وهو ان هذه الكنيسة قد اعتادت ان تجعل ما يخرج عن القانون قانونًا في هذا السرّ وفي غيرهِ . فقد حوّلت بمعموديتها الى رشٍّ مستندةً على ان الكنيسة القديمة عمدت احيانًا بالرش . على ان الكنيسة القديمة لم تسمح بهذا النوع الّا في ظروف ضرورية لا مناص منها وعلى المخصوص للمرضى والمعمّدين والمعلّمين الذين لا يمكن تعميدهم بالتنطيس . ومع ذلك فقد كانت صورة المعمودية هذه للمرضى في القرن الثالث موضوع

هذه الكلمات : انا اعمدك الخ . فتطهير الجسد يدلّ على تطهير النفس بالنعمة وقت المعاد كما قال الرسول : « وقد طهّر الرش قلوبنا من دنس الضمير وغسل الماء النقي اجسادنا » (عبرانيين ١٠ : ٢٢) وقال ايضاً في محبة المسيح للكنيسة : « مطهّرا اياها بغسل الماء » (افس ٥ : ٢٦)

قلنا ان المسيح عيّن مادة المعمودية وهذه المادة ليست الّا الماء الطبيعي فانّ المسيح والرسل لدى كلامهم عن المعمودية يذكرون دائماً الماء : « ان لم يولد احد من الماء والروح » (يوحنا ٣ : ٥) « هوذا ماء فما المانع من ان اعتمد » (اعمال ٨ : ٣٦) « ألعلّ احداً يستطيع أن يمنع الماء فلا يعتمد هولاء » (اعمال ١٠ : ٤٧)

وعيّن ايضاً الصورة وهي هذه الكلمات : « انا اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس » . او الصورة التي تشبهها عند الشرقيين : « يُعمّد عبدُ الله (فلان) باسم الآب والابن والروح القدس » . فان الرب في انجيله المقدس قال : « تلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) وقد ورد في القانون ٤٩ من القوانين المنسوبة للرسل : « ايما اسقف او قس لا يعمد باسم الآب والابن والروح

مشاجرات بين مسيحيي ذلك العصر اذ كان القسم الكبير منهم لا يعتبرون المرضى المرشوشين معمّدين وكانوا يطلبون اعادة تعميدهم حتى ان القديس كبريانوس اضطرّ اخيراً ان يكتب في هذا الموضوع ليقرع الخلاف من بينهم ذاهباً الى ان سرّ المعمودية لا يعدم قوّته ولا صحته اذا تُمّم عند الضرورة بالرش وانهُ لا حاجة بعد ذلك الى اعادة التعميد . والكنيسة الارثوذكسية ايضاً تتنازل لهذه الاحكام ولا تعيد معمودية للذين اقتضت الضرورة تعميدهم بالنضح او بالسكب كالمرضى واشالهم ولا تعتبر قوة سرّ المعمودية مفقودة منهم بسبب النضح ولكنها لا تسمح ولا تقبل باجراء المعمودية على هذه الصورة الّا لدى الظروف التي تقتضيها وهي لا تزال تعتبر ذلك خروجاً عن القانون العام ووجهاً اضطرارياً للذين حكمت عليهم طوارق الدهر حتى لا يكونوا بلا تعميد

فضلال الذين يعمّدون بالرش ظاهرٌ ولا يحتاج الى اكثر مما ذكرنا الآن في هذا المقام » اه .

فمن كلام سيادته نبرهن ونقول ان الضرورة لا تجعل طريقة استعمال السرّ صحيحة بل تفترض صحتها وتجعلها فقط جائزة . فالضرورة مهما كانت عظيمة لا يمكنها ان تجعل صحيحاً سرّ الافخارستيا مثلاً اذا استُعمل فيه خبز الشعير عند ما يصعب وجود خبز حنطة . كذلك نقول عن المعمودية . اذا كان التعميد لا يصحّ بالصب خارجاً عن الضرورة فالضرورة لا يمكنها ان تجعلهُ صحيحاً . وعليهِ فبما ان المعاد يصحّ بالصب في الضرورة نستنتج بكل حقّ انهُ يصحّ ايضاً خارجاً عن وقت الضرورة

القدس حسب فريضة الرب بل باسم ثلثة ازليين او ثلثة بنين او ثلثة معزّين فليقطع »

ولكن لا يكفي استعمال المادة والصورة دون وضع النية في تتميم ما تعملهُ الكنيسة اي القصد والارادة ان يعمل الخادم ما تعملهُ الكنيسة او ما رتبهُ المسيح . فلو استُعملا على طريقة الحكاية والتمثيل فقط دون وضع النية لا يتم السرّ

فاذ تقرر كل ذلك نقول ان احزاباً كثيرة من البروتستانت لا يستعملون الصورة المفروضة من الرب بل يفسدونها ولهذا السبب لا يصح العماد الذي تمنحهُ تلك الفرق. فالكنيسة الكاثوليكيَّة لا تجزم ان كل عماد يُعطى من البروتستانت هو غير صحيح بل تلزم بفحص الطريقة التي يجرون عليها في العماد. فاذا ثبت بعد الفحص المدقَّق انهم يحسنون اعطاء العماد باستعمال المادة والصورة المفروضتين وبوضع النية يُقبل عمادهم . اما اذا ثبت انهم يفسدون الصورة او لا يستعملون الماء الطبيعي بل ماء الورد مثلاً او ماء الزهر ام لا يضمون النية فالكنيسة الكاثوليكيَّة توجب اعادة العماد لا لانهُ أُعطي من البروتستانت لكن لانهُ لم يُعطَ كما يجب. لا بل اذا تحققت ان احد الكاثوليكيين افسد الصورة بالغرَض فانها تلزم باعادة العماد المعطى منهُ ولو كان مانح العماد كاهناً او اسقفاً

خادم سرّ المعمودية

ان خدَمة سرّ المعمودية الاعتياديين هم الرعاة الذين خلفوا الرسل اعني بهم الاساقفة والكهنة . لان المسيح اقامهم ليوزعوا النعَم بمنح الاسرار . فللرسل قال المسيح « اصنعوا هذا لذكري » و « من غفرتم خطاياهم تغفر لهم » و « تلمذوا كل الامم معمدين اياهم . . . »

ولكن لما كان العماد يكثر منحهُ خاصة في اوائل الكنيسة بسبب ارتداد الوثنيين الى الايمان الحقيقي ولانهُ سرّ يعمّ جميع المقبلين على الكنيسة وكان الرسل ومن خلفهم مشتغلين بالبشارة واذاعة كلمة الله اقام الرسل شمامسةً ليساعدوهم في تتميم بعض وظائف . فالشمامسة هم خدَمة سرّ المعموديَّة لكن بتفويض من الرعاة . قال ترتليانوس : « ان الكاهن الاعظم الذي هو الاسقف له السلطة في منح العماد . ثمَّ الكهنة ثم الشمامسة لكن بتفويض من الاسقف وذلك حفظاً لكرامة الكنيسة .

فاذا حفظت هذه الكرامة حُفظ السلام » (١ وقال ايرونيموس : « بدون اذن الاسقف لا حق للكاهن ولا للشماس ان يعمدا » (٢ وبما انَّ هذه القضيَّة لا يرتاب فيها احد فلا حاجة الى مزيد الايضاح والافاضة في تثبيتها

فما سبق يظهر في اول الامر انهُ لا يمكن للعلمانيين ان يعتمدوا . ومع ذلك فتعليم الكنيسة المسلَّم به منذ نشأتها هو انَّهُ يحق لهم ان يعتمدوا والعماد الممنوح منهم يكون صحيحاً وفي وقت الضرورة جائزًا ايضاً . فهم خدَمة المعمودية غير الاعتياديين . هذا ما يجب بيانهُ الآن . والدليل القاطع لا نجدهُ في الكتاب المقدَّس بل في التقليد وتعليم الكنيسة . الَّا ان الكتاب يحتوي ما يقرّب ويسهّل قبول البرهان في الموضوع

اذ كان العماد ضروريًا للخلاص ضرورة الواسطة حسب قول المسيح : « من آمن واعتمد يخلص » (مرقس ١٦ : ١٦) وقوله : « ان لم يولد احد ثانيةً فلا يقدر ان يعاين ملكوت الله » (يوحنا ٣ : ٣) وقوله ايضاً : « ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله » (يوحنا ٣ : ٥) شاء الله بجوده ومحبته للبشر ان يجعل قبولهم العماد ممكناً بل سهلًا في اي بلد كان في كل مملكة ومدينة وقرية وبيت . وفي اي وقت كان في كل يوم وساعة ودقيقة ولهذا السبب اتخذ المسيح لسرّ العماد مادةً نجدها دائماً وفي كل مكان وهي الماء فانهُ يهطل من السماء ويتفجر من الصخر ويملأ البحار وياتينا من ينابيع بعيدة جارياً في الجبال والسهول ونستنبطهُ من جوف الارض بحفر الآبار . ولا قوام لحياة الانسان على وجه المسكونة الَّا به . فهو بين يديه متى رغب . وعليهِ فمنح العماد من جهة المادة سهل للغاية

ولكن ما الفائدة من السهولة في وجود المادة لو كان المسيح حصر منح العماد في بعض افراد هم الكهنة كما عمل في تقديس سرّ الافخارستيا ومنح الحلّة في سرّ التوبة . أما انهُ بعد ان الزم الجميع حتى الاطفال بقبول العماد للخلاص كان عرّض كثيرين للحرمان منهُ ولفقد السعادة الفائقة الطبيعة . لانهُ يتعذر وجود الكهنة في كل

---

١) في المعمودية ١٧ راجع مجموعة آباء اللاتين لمين المجلد ١ الصفحة ١٢٣٧

٢) في محاورته ضدّ اللوسفريانيين العدد ٩ راجع مجموعة آباء اللاتين لمين المجلد ٢٣ ص ١٧٣

مكان وفي كل ساعة . فلهذا السبب رغماً عن توجيه المسيح كلامهُ الى الرسل الاحد عشر بقوله : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) لم يحصر اعطاء العماد في الرسل ومَن خلفهم. فنسمعهم يصرّحون بأن وظيفة العماد ليست خاصة بهم فقد قال الرسول: « ان المسيح لم يرسلني لاعمّد بل لأُبشر » (١ كورنتوس ١ : ١٧) ونرى رجالًا ليسوا رسلًا ولا كهنة كالشمامسة وغيرهم يمنحون سر العماد كما فعل فيلبس الشماس الذي عمّد قيم خزائن ملكة الحبشة (اعمال ٨ : ٣٨) وكما عمل حنانيا اذ عمد بولس الرسول في دمشق (اعمال ٩ : ١٨) ولا شيء يؤكد ان حنانيا كان اسقفاً او كاهناً او شمّاساً بل يذكر عنهُ فقط انهُ من مسيحيي دمشق « وكان بدمشق تلميذ اسمه حنانيا » (اعمال ٩ : ١٠) ونرى في يافا بطرس الرسول يامر بان يعتمد آل بيت قائد المائة كرنيليوس (اعمال ١٠ : ٤٨) ولم يُذكر انّ بولس الرسول عمّد الذين آمنوا في افسس بل يذكر ما يُشعر بنفي ذلك وان بولس احتفظ لذاتهِ ان يمنحهم بعد اعتمادهم سرّ التثبيت « فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع ووضع بولس يديهِ عليهم فحلّ الروح القدس عليهم » (اعمال ١٩ : ٥ ، ٦). ولمّا آمن اهل السامرة صغيرهم وكبيرهم بما كان فيلبس الشماس يبشرهم بهِ اعتمدوا رجالهم ونساؤهم (اعمال ٨ : ١٠—١٣) ولم يكن اذ ذاك احد من الرسل في السامرة . وانما ذهب اليها بعد ذلك بطرس ويوحنا ليعطيا الروح القدس للذين كانوا اعتمدوا قبلًا

فبعد الوقوف على هذه الحوادث ولم يُذكر منها الّا القليل اليسير في اعمال الرسل مَن ينكر ان العلمانيين في اوائل الكنيسة كثيراً ما كانوا يمنحون سرّ المعمودية عند مسيس الحاجة اذا لم يجدوا لا كاهناً ولا شماساً يقوم بهذا الواجب . أفلا ترى ان اعمال الرسل تبين دائماً الفرق العظيم الموجود بين منح المعمودية ومنح الروح القدس . فلا اهمية البتة لذكر خادم المعموديّة عند القديس لوقا كاتب اعمال الرسل بينما نراه متأنياً في تعيين الرسل كخدمة لسرّ التثبيت وفي ذكر قدومهم من اماكن شاسعة لمنح هذا السرّ . ولا سبب في هذا الفرق الّا ان العماد كان يعطى ايضاً من العلمانيين اما سرّ التثبيت فكان مختصاً بالاساقفة والكهنة ايضاً بتفويض خاصّ

وقد اوضح آباء الكنيسة هذه الحقيقة حتى لم يبق فيها اقل ريب . فبعد ان اكد

ترتليانوس ان السلطة في اعطاء المعموديَّة هي خاصَّة الاسقف ثم الخوري فالشماس قال: « الَّا ان العلمانيين لهم ايضاً الحق ان يعمدوا . . . يمكن لكل انسان ان يمنح العماد لانهُ عطيَّة الله » (١ . وايرونيموس بعد قولهِ: لا حقّ للكاهن والشماس ان يعمّدا بدون اذن الاسقف قال: « لكنَّا نعلم انهُ كثيرًا ما يجوز للعلمانيين ان يعمدوا اذا اقتضت الضرورة » (٢

ولكي نفهم هذه المسألة حقّ الفهم يلزم ان نميز امرين في منح سرّ المعموديَّة هما صحة السرّ وجواز منحه. فيمكن ان يكون منح العماد صحيحاً دون ان يكون جائزاً. فلو افترضنا ان كاهناً لاتينيًّا يعمّد بالتخطيس فان العماد الذي يعطيهِ يكون صحيحاً لكن غير جائز لانهُ يخالف رتبة طقسهِ الذي يأمرهُ ان يعطي العماد بالصبّ وهذه المخالفة هي خطأ مميت. واذا عمّد الكاهن الرومي بالصبّ يكون عمادهُ صحيحاً ايضاً لكن غير جائز لمخالفتهِ رتبة طقسهِ في امر مهمّ. وهكذا العلمانيّ اذا عمّد بالاحتفال المختص بالكهنة او في غير الضرورة يكون عمادهُ صحيحاً لكن غير جائز

وهؤلاء آباء الكنيسة نراهم يميزون بكل صواب في اعطاء سرّ المعموديَّة صحة السرّ وجواز منحه. فيعلّمون انهُ لا يجوز للعلماني ان يتعدَّى حقوق الكهنة في منح سرّ المعموديَّة ويقولون انهُ يخطئ اذا منحهُ بدون ضرورة لكنَّهم يؤكدون ان السرّ الممنوح على هذه الطريقة يكون صحيحاً لا باطلاً وإن الخطأ الذي تعدَّى الحقوق. امَّا اذا اعطى العلماني العماد لضرورة موجبة فيكون عملهُ خالياً ايضاً من الخطأ

قال القديس اوغسطينوس (٣ : « ان احوجت الضرورة العلماني فمنح العماد لمدنف على الموت . . . أفيحقّ لاحد القول انهُ يلزم اعادة هذا العماد. لانهُ لو أُعطي بدون ضرورة موجبة كان تعدّياً على حقوق الغير. لكن اذا احوجت الضرورة لاعطاء العماد كان الذنب خفيفاً (٤ او لم يكن ثمَّ من ذنب. ومع ذلك وان أُعطي العماد بدون

١) في المعمودية الفصل ١٧

٢) في محاورتهِ ضد اللوسفريانيين العدد ٩

٣) في مقالتهِ ضدّ پرمنيانوس الكتاب الثاني العدد ٢٩ راجع مجموعة آباء اللاتين لمين المجلد ٤٣ الصفحة ٧١

٤) لعلّ اوغسطينوس يتكلَّم من الخطأ الذي يرتكبهُ العلماني مانح العماد في وقت الضرورة اذا منح العماد بالاحتفال المختص بالكهنة او اذا منحهُ بحضور كاهن او شماس

ضرورة البتّة مع التعدّي على حقوق الغير واعطي من ايّ كان ولايّ كان فانّ العماد متى مُنح لا يمكن القول انهُ لم يُمنح وإن اصبنا في قولنا ان منحهُ كان غير جائز . لكن هذا التعدّي غير الجائز يُغفر اذا ارعوى الانسان وندم »

ولا بدّ من التنبيه انّ الحقّ الذي للعلمانيين في منح العماد هو فرضٌ تلزمهم بهِ المحبّة المسيحيّة في وقت الضرورة . فلا يجوز لهم ان يعتمدوا الّا في خطر الموت اذا لم يوجد كاهن او شماس يقوم بهذا الفرض الواجب . واذ ذاك ليس فقط يجوز للعلماني بل يجب عليهِ اعطاء العماد واذا لم يعطهِ كان « مذنبًا لهلاك انسان » كما يقول ترتليانوس(١

فاذا تقرّر كل ذلك نخطو خطوةً اخرى لحلّ المشكل الذي عُرض علينا بخصوص العماد المعطى من الوثني . فتمهيدًا لحل المشكل ينبغي ان ترتسم مسألة ذات اهميّة وهي انهُ لا يُشترَط لصحة السرّ ان يكون مانحهُ ذا ايمانٍ مستقيم او في حال النعمة

ان مسألة صحة او عدم صحة العماد باعتبار استقامة او عدم استقامة ايمان المعمّد وديانتهِ ليست حديثة في الكنيسة . وقد اثارت في القرن الثالث والرابع للمسيح جدالًا عنيفًا تناظر فيهِ اشهر الاساقفة مثل القديس قبريانوس الشهيد والقديس اوغسطينوس وعُقدت بشأنها مجامع عديدة . وبسبب هذه المسألة حدث في الكنيسة انشقاقان يعرَف الاوّل منهما ببدعة مُعيدي العماد والثاني ببدعة الدوناتيين نسبة لدوناتس احد اساقفة افريقية

ومختصر الخبر هو ان بعض اساقفة افريقية ومن جملتهم القديس قبريانوس وبعض اساقفة الشرق ومنهم فرمليانوس مطران قيصرية قبدوقية ادّعوا بان العماد الممنوح من هرطوقي هو باطل وانهُ يلزم اعادته لمن يأتون الى الكنيسة الكاثوليكيّة

فلمّا أن تلبّدت السماء بالغيوم وخيّم الظلام على بعض العقول واخذت الآراء تتضارب جمع قبريانوس سنة ٢٥٦ مجمعين محليين حضر الاوّل منهما ٣١ اسقفًا والتأم في الثاني ٧١ وقرّروا ان الاسرار التي تُمنح خارجًا عن الكنيسة الكاثوليكيّة لا يمكن ان تكون صحيحة . وبعد عقد هذين المجمعين اوفد قبريانوس الى رومية اسقفين أصحبهما بتحريرٍ غاية في الرقة والاحترام الى الحبر الروماني القديس اسطفانوس الاول

١) في المعمودية العدد ١٧ راجع مجموعة آباء اللاتين لمين ١ المجلد ١ الصفحة ١٢٢٨

(٢٥٤—٢٥٧) يخبره بما قرره الاساقفة ليثبته بسلطته . فكان هذا الخبر كشرارة وقعت في غابة فاضرمت فيها حريقاً هائلاً لانّ القديس اسطفانوس لتعلقه بالتقليد القديم ساءهُ ما بلّغهُ اياه الاسقفان المرسلان من طرف قبريانوس فلم يعطهما تحيّة السلام وكتب الى قبريانوس رسالة شديدة اللهجة بيّن فيها العادة القديمة قائلاً : « اذا عاد اليكم احد من أيّة هرطقة كان فلا تُبدعوا شيئاً جديداً بل اتّبعوا ما سُلّم اليكم وهو ان تضعوا فقط عليهِ الايدي للتوبة » وتهدّد بالقطع قبريانوس واساقفتهُ ان لم يرعووا . وارسل ايضاً رسالة في المعنى نفسهِ الى فرمليانوس والاساقفة الشرقيين من قيليقية وقبدوقية شركاء قبريانوس في رأيه

الّا ان قبريانوس لم يُذعن حالاً للحقيقة بل ألف سنة ٢٥٨ مجمعاً آخر التأم فيهِ ٧٨ اسقفاً وعدد غير يسير من الكهنة والشمامسة والعوام فأثبتوا ما كانوا قرّروهُ سابقاً . والى القديس قبريانوس يشير اوغسطينوس في رسالتهِ ٤٨ الموجهة الى ويانسيوس الدوناتي (العدد ٣٨) اذ يقول : « لعلّ الذين ابتهجوا اي ابتهاج بغلطهِ حذفوا من كتاباتهِ ما يدلّ على انهُ تاب عنهُ لئلّا يُحرموا محامياً لهم عظيماً »

هذا وان مقاومة قبريانوس للتعليم القديم لا تمسُّ صحة ايمانه لان المسألة لم تكن تعتبر اذ ذاك متعلقةً بالايمان بل مسألة تهذيبيّة . ولم تكن الحقيقة تحدّدت بعدُ في مجمع مقبول في الكنيسة ولهذا نرى قبريانوس يعترف في رسالتهِ الى البابا اسطفانوس انهُ ترك ملءَ الحريّة لاولئك الاساقفة الذين في افريقية نفسها لم يكونوا يميدون العماد المعطى من الهراطقة . وقد قال اوغسطينوس (١ عن قبريانوس انهُ « حفظ رباط الاتحاد بكل تواضع » . وهكذا القول عن فرمليانوس . ولا يخفى ان قبريانوس استشهد سنة ٢٥٨ فاذا كانت صدرت منهُ بعض هفوات في جدالهِ مع البابا اسطفانوس فقد كفّر عنها بسفك دمهِ . ولم يلبث الهياج الذي ثار في ايامهِ ان هدأ وانطفأت نارهُ بتحديدات أزل المكاني والمجمعين المسكونيين الاول والثاني

وقام في القرن الرابع الدوناتيون مدّعين ان العماد لا يصحّ اذا كان المعمّد في حال الخطية الميتة خالياً من النعمة المبرّرة . ثم لطّفوا خطأهم مقتصرين على القول بانهُ

١) في العظة ٣١٢ العدد ٦

لا يصحّ العماد الممنوح من الخاطي المشهور لا الحقيّ . فنهض القديس اوغسطينوس (٣٥٤ــ ٤٣٠) لمناظرة الدوناتيين ومناقضتهم فأفحمهم وانتصر للحقّ مستندًا الى ما كانت قررتهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة من انَّ العماد الممنوح من الهراطقة يكون صحيحًا اذا أُعطي مع الشروط الواجبة فكم بالحري يكون صحيحًا اذا كان مانحهُ كاثوليكيًا وإن خاطئًا

فالخلاف كلهُ اذًا ينحصر في صحة العماد او عدم صحته نظرًا لايمان المعمّد وبرارته . فاصحاب التعليم الفاسد يدَّعون بانّ العماد وإن روعيت فيهِ كل الشروط لا يكون صحيحًا ما لم يُعطَ من خادم مستقيم الرأي في الايمان اي كاثوليكي وغير خاطئ اقلَّهُ بخطية علنية . اما التعليم القديم فيقول بانَّ العماد على افتراض انهُ أُعطي باسم الثالوث الاقدس مع الشروط الواجبة يكون صحيحًا وإن كان خادم العماد هرطوقيًا او مارقًا من الدين او خاليًا من النعمة المبرّرة

فاذا بيّنا ان صحّة السرّ لا تتوقّف على ايمان خادم السرّ وبرارته جاز لنا ان نستنتج بكل صواب ان العماد يكون صحيحًا وان أُعطي من وثنيّ بشرط ان يمنحهُ كما تمنحهُ الكنيسة وان يقصد عمل ما تعملهُ .

وهذه القضية تُبيَّن بالتقليد الدائم وتعليم الكنيسة القديم . فانها علَّمت على الدوام ان المعمودية لا تكتسب شيئًا من ايمان الخادم وبرارته ولا تخسر شيئًا لكفرهِ وخطيتهِ

فانَّ رأي قبريانوس واصحابه لم يكن الأحديثًا لا يرتقي الى اكثر من اربعين سنة اي الى زمان اغريبينوس اسقف قرطجنة سنة ٢١٧ او ٢١٥ وهذا اغريبينوس كان اوَّل من قال بهذا التعليم الجديد الفاسد . بينما التعليم الكاثوليكي القديم عُمل بهِ منذ اوائل الكنيسة كما اكَّد ذلك البابا اسطفانوس الاول اذ كتب الى قبريانوس : « لا تبدعوا شيئًا جديدًا بل اتَّبعوا ما سُلّم اليكم » . واذا كان قبريانوس شارك ٧٨ اسقفًا في نوميدية و ٥٠ في فريجية فما هذا بالنسبة الى العدد العديد من الاساقفة في العالم اجمع . ولا يخفى انهُ كان في ذلك الوقت في افريقية وحدها اكثر من ٥٠٠ اسقف وانهُ وُجد في المجمع المكاني المنعقد سنة ٣١٤ في ارل من اعمال فرنسة نحو ٦٠٠ اسقف

(التتمّة في العدد القادم)

صوم نينوى في الكنائس الشرقية

نظر تاريخيّ ليوسف افندي غنيمة البغداديّ والاب لويس شيخو اليسوعي

ارسل لنا مكاتبنا البغدادي الاديب يوسف افندي غنيمة فصلًا عن صوم نينوى الشائع في الكنيسة السريانيّة . وكان سابقًا حضرة الاب الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش كتب في ذلك نبذة في جملة مقالة مطوّلة عن الصوم لم تسمح الفرصة بنشرها . ثمّ راجعنا عدّة كتب ليتورجيّة وتاريخية فجمعنا كل هذه المعلومات في مقالة واحدة لتتمّ بها الفائدة ل . ش

في كلّ سنة قبل حلول الصوم الكبير بثلاثة اسابيع يرتّب السريان والكلدان بصوم يدوم ثلاثة ايّام اوّلها الاثنين وآخرها الاربعاء (وهو يوافق في هذا العام اليوم الخامس والسادس والسابع من شباط) يدعونه صيام نينوى وربّما دعوهُ ايضًا بالباعوثة . امّا نسبتهُ الى نينوى ففيهِ اشارة الى توبة نينوى التي جاء تفصيل خبرها في سفر يونان النبيّ لمّا انذر اهلها بغضبهِ تعالى وتهدّدهم بدمار مدينتهم فانابوا الى الله وباؤوا باثمهم تائبين بالصوم والصلاة ولبس المسوح فقبل الربّ توبتهم وغفر لهم خطاياهم ولم يلحق بمدينتهم ما اضمرهُ لها من الخراب . امّا تسميتهُ بالباعوثة فذلك اشتقاق من اللفظة السريانيّة (ܒܥܘܬܐ) ومعناها الطلبة والدعاء لما يُقام من الصلوات والادعية في ذلك الوقت

﴿ اصل صوم نينوى ﴾ انّ هذا الصوم عريق في القدم ألِفهُ الشرقيّون منذ القرون الاولى ولو قيل انّ نصارى العراق اتّخذوهُ ذكرًا لصوم نينوى عند ما دانوا بالنصرانيّة لَما قالوا شططًا وقد وجدوا في حفظهِ فرصةً جديدة للتكفير عن آثامهم وللندامة الى الله مع الانقطاع الى اعمال البرّ والاماتة

وكأنّي بالقارئ يتصدّى لي قائلًا وكيف يا ترى اجاز النصارى الشرقيّون اقامة صوم من اصوام العهد العتيق بعد ان ابطل السيّد المسيح وتلاميذهُ الحواريّون السُّنن الموسويّة . فنجيب على هذا بقولنا انّ صوم نينوى ليس بفريضة من الفرائض الموسويّة ولا كان جاريًا عند اليهود وانّما ورد فقط ذكرهُ في الاسفار المنزلة . ومن ثمّ لا بأس من القول بانّ نصارى الشرق احيوا ذكرهُ شكرًا لله على نعمة جاد بها على آبائهم وتكفيرًا عمّا اجترحوهُ هم من الذنوب . ولعلّ هذه العادة سبقت في العراق عهد

المرطقة النسطوريّة فانتشر هذا الصوم من الكلدان الى الملل الاخرى. وعلى كلّ حال لا نرى موجباً لتفنيد قول البيروني في الكتاب الآثار الباقية من القرون الخالية (ص ٣١١) وهو يعلّل هذا الصوم بذكر صوم اهل نينوى حيث قال: «وكصوم نينوى فانهُ يوم الاثنين الذي قبل اوّل الصوم الكبير باثنين وعشرين يوماً وهو ثلاثة أيام. وذكروا انّ قوم يونس لمّا اظلّهم العذاب ثمّ كشفهُ الله عنهم وآمنوا صاموا هذه الثلاثة أيام»

على انّ الكلدان يروون في اصل صوم نينوى غير ذلك. فيجيبون على الاعتراض السابق جواباً اورد نصّهُ اليًا اسقف النساطرة في دمشق في كتاب النواميس نقلًا عن يوحنّا بريشوع الجاثليق الذي تولّى كرسيّ الفطريركيّة على الكلدان من سنة ٩٠٠ الى ٩٠٥ قال (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٢ ص ٤٢٦):

«تشاجر قوم مع (النصراني) ابي العبّاس الفضل بن سليمان في امر الصوم المعروف بنينوى في ايام هذا الصوم في سنة تسعين ومائتين للعرب وذلك في سنة الف ومائتين وارسعة عشر للاسكندر (٩٠٢ م) في احد عشر من كانون الثاني فكتب ابو العبّاس الى ابينا يوحنّا الجاثليق ذكرنا الله بصلواتهِ يسألهُ عن العلّة في صوم نينوى والعلّة في صوم العذارى وكانت نسخة المسائل والجواب على ما قد بُيّن في هذا الكتاب. وهذه المسألة: ما العلّة اعزّ الله ايانا الجاثليق في الصيام الثلثة الايام المعروفة بصوم نينوى واجرائها مجرى الصوم الكبير. والذي جرى في امر نينوى وامر يونس على الناموس العتيق ولسنا ابناء اليمة مأخوذين بالناموس العتيق؟ ومن امر بذلك من الاباء ومن ختم بهِ؟ فقد كان اعلمني شيخ لنا انت عليهِ مائة سنة وكسر منذ شبته (كذا) بثلثين سنة انهُ وسائر اصحابنا يكسّر كانوا لا يصومون نينوى ويأكلون اللحم فيها الخ

الجواب في ذلك: اول ما نقول انّا اجبنا عمّا سألت بالعربيّة لان كتابك ورد بالعربيّة وليقف عليه من شاجرك بلا حاجة الى واسطة مترجم بما نكتب بهِ. واما قولك اسعدك الله انّ ابناء اليمة ليسوا مأخوذين بالتمسك بالناموس العتيق فقد صدقت في ذلك وليس انما نصومها لان سببها ذلك السبب لان الاسم الواقع عليها مستعار والسبب الحقيقي هو ما نشرحهُ. كان اسعدك الله في زمان من الازمنة السالفة حدث في بلاد باجرمي موت جارف اتى على الاكثر في ذلك البلد في اسرع مدّة وكان عليهم اسقف يسمّى سبر يشوع حفظ الله اليمة بصلواتهِ. فجمع رعيتهُ لاقامة الباعوث وشجّعهم وقال لهم: ان كان الله عز وجل برحمتهِ رحم اهل نينوى وكشف عنهم ما اجراه على لسان نبيهِ يونس الخ. فأجرى ان برحمتنا ونحن شبهُ المؤمنين بهِ وبجميعهِ وروحهِ المقرونة على الحق والصدق. فسمت (سمعت) هذه الرعيّة ما امرها بهِ الاسقف واجتمعوا وعملوا الباعوث على احسن ما يكون من عمل مثله من قطام الاطفال والاغنام ولبس المسوح مما اثرُ ذلك باقيًا (كذا) الى وقتنا هذا فدفع الله ذلك عنهم. فلما وُلّي مار طيموثاوس الجاثليق حفظنا الله بصلواتهِ امر بعمل هذا الباعوث فاتخذوا اصحابنا منذ ذلك الوقت الى وقتنا هذا سنّة اجروها مجرى الفرض عليهم الخ. واسم هذا الباعوث [illegible] (اي صوم الفريضة لا صوم نينوى).

وانما جرى ذكر نينوى لما قدّمنا ذكرهُ لشاكلة الموعد والانذار بالآفات الحادثة وما لحق القوم اجمعين من خلاص ما تخوّفوه . فمن تعمّد اكل اللحم فيها الزمناه ما يجب على من تعمّد اكل اللحم في الصوم الكبير »

وقد جاء ذكر هذا الحادث في تاريخ فطاركة كرسيّ المشرق الذي الحقهُ عمرو بن متّى الطيرهاني في كتابهِ المعروف بالمجدل (اطلب طبعة الاب جسمندي اليسوعيّ ص ٤٣) فبعد ان ذكر في ترجمة الفطريرك يوسف (٥٥٧—٥٦٧ م) انهُ جرى في ايامهِ موتان عمّ بلاد العراق والفرس حتى خلت بسببهِ البلاد قال في ترجمة خَلَفهِ حزقيال (٥٦٧—٥٨١) ما حرفهُ : . . . . . وفي ايامهِ بطل الموت الذي كان حدوثهُ في ايام يوسف المكنّى بالجثليق من الطاعون المسمّى شرعوط (كلمة كلدانيّة بمعنى الدمامل) وعلامتهُ كانت ان يظهر في كفّ الانسان ثلث نقط سود وفي حال ما يبصرها يموت حتى خلت مدن كثيرة وقرى كثيرة من الناس وبقي الذهب والفضة والامتعة بلا اصحاب وليس لها من يأخذها واكترى كسرى رجالاً لدفن الموتى وعيّن لهم من كلّ ميّت شيئاً معلوماً فحصل لهم في يوم واحد اربعمائة وخمسين ديناراً وعند الماء جلسوا ليقتسموا فماتوا على المكان وبقي المبلغ المذكور على الارض . وسبب ارتفاع الموت المذكور كان انّ مطران باجرمي (١ واسقف نينوى (٢ اتفق رأيهما على عمل الباعوث وعرّفا هذا الاب ذلك فاعجبهُ واستصوبهُ وكتب الى سائر الامصار الشرقيّة ان يكونوا باسرهم متفقين على رأيٍ واحدٍ ونيّة واحدة يصومون ويصلّون ثلاثة ايام اولها يوم الاثنين الذي قبل الصيام الكبير بعشرين يوماً ويطلبون من الله ان يرحمهم ويقبل سؤالهم مثلما قبل من اهل نينوى ويرفع الموت عن خلقهِ وان يكون صيام هذه الثلثة ايام ما بدا طول الزمان فلمّا عملوا ذلك قبل الله منهم ورفع الموت ومن ذلك اليوم سُميت هذه الباعوث صوعية نينوى وتخلصوا مثلهم برفع السخط عنهم (٣ اه بحروفهِ .

---

١) ناحية واقعة في شرقيّ دجلة بين الزب او جبال حمرين وديالة والكرمي الاسفي لهذه الناحية كان كرخ سلوخ وهي اليوم كركوك (راجع Chabot : Syn. Or., 668) وكان جالساً عليهِ اذ ذاك الاسقف يشوعيرب كما سبق

٢) لعلّ هذا الاسقف هو يزدينا هما الموقع امضاءهُ في مجمع الجثليق حزقيال (Chabot, l. c., 368)

٣) وقد ورد في فرض الكلدان انّ الاسقف اذ كان يصلي الى الله سمع صوت ملاكٍ يقول : « اقطعوا الى الصوم والصلاة فينكشف عنكم الداء »

وهذه الرواية تراها ايضاً في كتاب اسفار الاسرار لصليبا بن يوحنّا الموصلي (١ معاصر عمرو بن متّى وكذلك رواها يحيى بن جرير التكريتي في كتاب الكهنوت وابن العبري (٢ وهكذا ايضاً وردت في مقدمة رتبة هذا الصوم في الطقس الكلداني وفي المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٣ وعن هولاء كافةً اخذ العلّامة المستشرق شابو وهذه عبارتهُ: « احتلّ الطاعون الدمليّ ما بين النهرين وبهذه المناسبة أُقيم صوم ثلثة ايام. وهذا الصوم يدعى انقطاع النينويين ولا يزال النساطرة متمسكين بهِ (٤ » وفضلاً عن هذا كلّه قد جاء في مقدمة الشهادوس الذي التأم سنة ٥٧٢ على عهد البطريرك حزقيال (٥ ما ينبيء بمصايب واكدار مختلفة كانت تحيط كنيسة المشرق قبل ان يتبوأ حزقيال كرسيّ المدائن. وفيها اشارة الى سوء تدبير الجثليق يوسف (٦ ومعاملتهِ السيئة للاساقفة ولا نشكّ انها تلمح ايضاً الى الطاعون المذكور

﴿ صوم نينوى في الكنائس الشرقيّة ﴾ هذا الصوم كان يعمُّ كلَّ الكنائس الشرقيّة الّا الملكيين وعندنا على ذلك شهادات واضحة. فانَّ السريان الكاثوليك

---

١) هو كاتب من كتبة القرن الرابع عشر وكان نسطوري النحلة وتاريخ كتابهِ اسفار الاسرار سنة ١٣٣٢. وهو لا يزال مخطوطاً منهُ نسخة في كليّة كمبريج (راجع المشرق ٧: ٥٨٦) وعند الاب بطرس نصري في الموصل وعنهُ اخذ مخطوطتهُ حضرة الاب انستاس الكرملي (راجع المشرق ٨: ٥٠٥) وعند يوسف افندي غنيمة قسٌّ منهُ وهو الذي يتكلّم فيه المؤلف من نظارة كرسي المشرق نقلهُ من عمرو بن متّى وزاد فيهِ بعض زيادات اهداهُ اياهُ حضرة لفوري ميخائيل شيا النائب البطريركي الكلداني في بغداد

٢) في تاريخهِ الكنسي (ج ٤ ص ٩٨)

٣) في المجلّد الثاني (ص ٤٣٥)

٤) راجع الشهودات النسطورية (Chabot: *Syn. Or.* 370,No, 2)

٥) ان هذا المجمع هو الثامن من المجموعة التي نشرها شابو وترجمها (راجع المشرق ٧: ٥١٧) وقد حضر هذا الشهادوس ثلاثة رؤساء اساقفة و ١٧ اسقفاً ورتبوا تسعة وثلاثين قانوناً

٦) كان هذا الجاثليق طبيباً ولما ترمل كرسي ملوقية أقامهُ كسرى انوشروان بدون انتخاب سنة ٥٥٢ م. وفي سنة ٥٥٤ انتدب الآباء واقام مجمعاً سنَّ فيهِ ثلاثة وعشرين قانوناً وبعد ذلك اساء التدبير فأُسقط عن الكرسي بمساعدة الطبيب موسى النصيبيني وبقي في الكرسي ١٢ سنة حسب عمرو بن متّى و ١٥ سنة حسب ماري ولهُ من التآليف سيرة سلفائهِ البطاركة (راجع (Labourt: *Le Christianisme sous l'empire Sassanide*, 192 seqq. ; R. Duval: *Litt. Syr.* 350 ; Chabot : *Syn. Or*, 352 No. 1)

لا يزالون حتى اليوم يصومونهُ في وقتهِ . وقد اثبتهُ مجمع الشرفة في جملة الصيامات المفروضة (راجع الصفحة ٦٠ من الطبعة اللاتينية) . لكنَّ السريان اليعاقبة كانوا يقيمون هذا الصوم على منوالين فمنهم من كان يصومهُ ثلاثة أيام كالكلدان ومنهم من يقيمهُ مدَّة جمعة فيباشرون بهِ يوم الاثنين ويصومون الى صباح السبت ولذلك يدعوهُ البعض جمعة نينوى . وقد نصَّ على ذلك ابن العبريّ في كتاب الشرع الكنسي (ج ١ ف ٥)

والآن في الكنيسة الكلدانيَّة والسريانيَّة في غضون هذه الثلاثة ايام تُقام الصلاة وأرتب الطقسيَّة البيعيَّة من الصباح حتى منتصف النهار وتُتلى الاناشيد والميامر البليغة بمعانيها من تصنيف الملفان مار افرام السرياني والشاعر المطبوع زمي الذي بكل استحقاق يُلقَّب بمُرد الروح القدس . وبعد ذلك يُحتفل بالذبيحة الالهيَّة

وكذلك الموارنة فانَّهم كانوا يمارسون هذا الصوم سابقًا . قال حضرة الخوري ابراهيم حروش ما حرفهُ : لا ريب في ان الموارنة كانوا يصومون صوم نينوى لا بل انَّ الاناجيل المملَّقة على الطبعة الثانية الرومانيَّة لكتاب القداس عندنا تذكر الاناجيل المعيَّنة لصيام نينوى وذلك بعد ان أُبطل في طائفتنا هذا الصوم . ومن الاتفاق الغريب انني عثرتُ على انجيل سرياني يعقوبي في مدرسة عين ورقة العامرة فُقدت منهُ اوراقهُ الاخيرة ولكنهُ اقدم من السنة ١٧٠٠ يونانيَّة (١٤٨٩ م) لأنَّ على الهامش بخطّ احدث ذكر امور جرت في تلك السنة . ولهذا الانجيل فهرس مطوَّل للاعياد وللاناجيل التي تُقرأ فيها فمن ذلك انهُ يذكر فصلًا من متَّى وهو (لا) اعني الحادي والثلثين على حسب تقسيم النسخة السريانيَّة يقرأ «مساء اثنين نينوى» وهذا الفصل هو نفسهُ المعيَّن في كتاب قدَّاسنا الذي ذكرتهُ . فهذا الصوم كان مرعيًّا اذن عندنا مع باقي صيامات الكنيسة السريانيَّة دون ادنى ريب . وقد ذكر الدويهي في تاريخهِ (ص ١٨٨) سبب ابطالهِ قال : «ان يوحنَّا الاهدني الذي كان اسقفًا في أيام البطريرك يوسف الرزّي في اوائل الجيل السابع عشر لشدَّة غيرتهِ في ان تزيد طائفتهُ اتحادًا مع الكنيسة الرومانيَّة حلَّل اكل اللحم لرؤساء الكهنة واكل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين وابطل جمعة نينوى وقصَّر قطاعة الرُّسل وقطاعة الميلاد ليجعل اعياد الرسل بطالة . ويدخل قبلها صيامات البيعة فما حسن ذلك عند بولس الخامس صاحب الكرسيّ الرسولي .

وفي سنة ١٦١٠ امر بنقض كلّ هذه الامور في منشوره الذي ارسلهُ الى البطريرك يوحنّا خلَف المذكور لأن العوائد التي كانوا متمسكين بها هي عوائد ممدوحة اتّصلت اليهم من الآباء الاطهار . الّا انّ الامر الذي تجري عادة الناس عليهِ يصعب ردُّهم عنهُ ولا سيّما في الامور الواسعة » . انتهى كلام حضرة الاب جرفوش

وكان صوم نينوى ايضاً جارياً بين الاقباط كما ترى في كتاب الجوهرة الفضيّة في علوم الكنيسة لابن سبّاع من كتبة القرن الثالث عشر (ص ٥٤) قال: « امّا صوم ثلاثة ايام يونان فهذا تذكار واشارة الى التوبة التي اجراها اهل نينوى لرفع غضب الله وسخطهِ عنهم » . فمن هذا القول يتّضح انّ الاقباط كانوا يصومون صوم نينوى وينسبونهُ الى ذكر توبة النينويين دون ذكر الموتان الذي رواهُ النساطرة . ولهم في كتبهم الطقسيّة ادعية وصلوات مختصّة بصوم نينوى (١ وعظات تتلى في كلّ يوم من الأيام الثلثة (٢ على انّ القبط الكاثوليك قد ابطلوا هذا الصوم تخفيفاً على رعاياهم وانّما يذكرونهُ في كلندارهم في ١٦ من شهر هتور (٣ الموافق لتشرين الثاني (٤ . هذا ولا نشكّ في ان الاحباش يصومون صوم نينوى لما بين الاقباط وبينهم من العلائق في العادات والطقوس وقد ورد ذكرهُ في كلندارهم الذي نشرهُ الرحّالة لودلف (٥

امّا الارمن فان صوم نينوى جارٍ عندهم حتّى اليوم تراهُ مذكوراً في كلندار الغريغوريين وفي الكلندار الكاثوليكي المطبوع في البندقيّة الذي يعرّبهُ كل سنة حضرة الاب سوكياس ورتبيت جريان الارمني الكاثوليكي . وهذا الصوم قديم عند الارمن وكانوا ايضاً يحتفلون بهِ خمسة ايّام . وهم يدعونهُ اراتشاوُر (Aratchaour) ومعناهُ

---

١) اطلب كتاب الطقوس الشرقيّة والغربيّة (Brightman: *Liturgies eastern and western*, I, 458)

٢) راجع كتاب المواعظ المطبوع في المطبعة القبطيّة (ص ٩٠-٩٦)

٣) اطلب كلندار الكنيستين (Nilles: *Kalend. man. utriusque Ecclesiae* II,697)

٤) وكان عند الاقباط صوم يعرف بصوم هرقل يسبق الصوم الكبير ذكرهُ المجمعُ القبطيّ الكاثوليكي ولم يقرّر لزومهُ (اطلب اعمال هذا المجمع اللاتينيّة ص ٦٤) . وكذلك ورد في تاريخ سعيد بن بطريق (الجزء الثاني ص ٥-٦ من الطبعة الجديدة) ذكر صوم هرقل ويجعلهُ قبل الصوم الكبير ويزعم انّهُ وُضع تكفيراً لحنث هرقل بعهده الى اليهود . ولم نتحقّق أيوجد بين هذا الصوم وصوم نينوى علاقةٌ ما

٥) اطلب كتابهُ: G. Ludolfi ad suam Hist. Æthiop. Commentarius (p. 386)

« بشير الصوم » او الصوم الاوّل امّا اصلهُ فيختلفون فيهِ فمنهم كموسى الخوريني من يزعم ان القديس غريغوريوس المنوّر حتم بهِ على الارمن لمّا نشرهم كاستعداد لقبول نعمة العمودية ومنهم من يدعوه بصوم سرجيوس لانّ في آخره اي يوم السبت عيد القديس سركيس الشهيد وقيل انهُ وُضع تذكارًا لتوبة آدم عند خروجهِ من الجنّة . وقيل غير ذلك والارجح انهُ صوم نينوى والدليل عليهِ انهُ يُعرَف اليوم بهذا الاسم عند الارمن الكاثوليك (راجع مطبوخ الارمن لسنة ١٩٠٦ ص ١٤)

فترى ممّا سبق انّ الطوائف الشرقيّة كلها عرفت صوم نينوى لا يستثنى منها الّا الروم فانّهم عدّوا هذا الصوم كبدعةٍ وحتموا بأكل اللحم في جمعة نينوى بعد ان كانوا يأكلون فيها الجبن والبيض فقط وذلك مخالفةً للارمن ولهذا يسمّونها « جمعة المخالفين » . وقد اختلقوا الروايات النريّة التي ينسبونها الى الارمن وليس لها ركن متين بل الأولى ان تُدعى من الترهات كقولهم مثلًا انّ سرجيوس الذي ينسب اليهِ هذا الصوم احد هراطقة الارمن كان لهُ كلب يسبقهُ الى كل مدينة ويبشر بقدومهِ فيخرج الاهالون لاستقبالهِ ثمّ اقتبس ذنب كلبهِ فدخل المدينة دون ان يدري بهِ احد والّا عالم بما جرى لكلبهِ نرض بهذا الصوم

ولكن دعنا من هذه الخرافات ولنذكرنّ ما اعتادهُ نصارى العراق في هذا الصوم وهو من الغرابة بمكان وذلك انّ العامّة يصنعون الحلوى ويلتّون السويق ويبيعونهُ من مساء الاربعاء الى صباح الخميس « نذرًا للخضر » ويقولون انهُ مار الياس او مار جرجس او مار بهنام ويزعمون انهُ يأتي ليلًا وانهُ شيخ عتيق الأيام ذو لحية طويلة بيضاء يعتلي جوادًا وفي يدهِ عصًا وانهُ مفرم بالزينة ولذلك يضعون لهُ بجانب الحلوى مشطًا ومرآة ومكحلة ولجوادهِ باقة بقدونس . وعند الصباح يتهادون الحلوى ويتجمع المتسوّلون عند الابواب يترعونها سحرًا طالبين منها حصّتهم . وما يعملهُ السريان والكلدان للخضر يعملهُ الارمن لمار سركيس . ولعلّهم خصّوا مار الياس ومار سركيس بهذا الصوم لانهُ كان يُعرف ايضًا سابقًا بصوم الياس وبصوم مار سركيس . امّا افراحهم وعاداتهم فالمرجّح انّها اشارة الى نجاة اهل نينوى من كربهم بإنذار يونان النبي والله اعلم